السّراج المنير ﷺ

عن عِرْباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول، فذكر الحديث وفيه قال: إن أم رسول الله رأت حين وضعتهُ نوراً أضاءت منه قصور الشام[1].

وعن أبي العجفاء عن النبي ﷺ قال: «رأت أمي حين وضعتني سَطَع منها نورٌ أضاءت له قصور بصرىٰ»[2].

أجل!

هذه شهادة إلٰهيةٌ بالرسول ﷺ، حيث سَجَّلَ الله سبحانه اسم ووصف الرسول ﷺ في القرآن الكريم. ليبقى علىٰ ألسنة الخلق إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: شبّه الحق سبحانه نبيّه ﷺ بالسّراج، ولا تستقلّ هذا الوصف في حق رسول الله، فليس معنىٰ السّراج أنه كالسراج الذي يُضيء لك الحجرة مثلاً، إنما هو كالسّراج الذي قال الله عنه: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣] والمراد الشمس.

فإذا قلت: فلماذا لم يُوصف النبي ﷺ بأنه شمسٌ وقد قال تعالىٰ عنها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ [يونس: ٥]، والشمس أوقىٰ من السراج؟

قالوا: الكلام هنا كلام ربٍّ وأسلوب دقيقٌ معجز، صحيحٌ أن الشمس تُنير

---

(١) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، ٤/ ١٨٤، دلائل النبوة للبيهقي: ٢/ ٨.

(٢) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد: ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣.

الدنيا كلها ، إنما أمة محمد ﷺ مكلّفة أن تقوم بالدعوة من بعده. فكأن رسول الله ﷺ سراج ، والسّراج تأخذ منه النور دون أن ينقص نوره ، لكن لا تستطيع أن تأخذ من الشمس.

وحين سطعت أنوار الهداية علىٰ لسان الرسول ﷺ لم يَعُدْ للشرائع الأولىٰ أن تتدخّل علىٰ حدّ قول المادح:

كأنَّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ[1]

فسلام الله عليك يا طبيب القلوب يا أحمد. فأنت دعوة أبيك إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩] فما أجمل تلك الدعوة ، وما أجَلَّ تلك الإجابة!.

وأنت يا حبيب الله بشارة أخيك عيسىٰ عليه السلام: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ ﴾ [الصف: ٦].

تجلّىٰ مولد الهادي وعمّت بشائره البوادي والقصابا[2]
وأسْدَتْ للبريّة بنت وهْب يداً بيضاء طوّقت الرقابا
فقد وضعته وهّاجاً منيراً كما تلد السموات الشهابا
فقام علىٰ سماء البيت نوراً يضيء جبال مكة والنقابا
وفاحت يثرب الفيحاء مسكاً وفاح القاع أرجاءً وطابا

* * *

(١) تفسير الشعراوي: ١٩/ ١٢٠٧٨.

(٢) القصابا: جمع مفرده قصبة وهي المدينة.